

كنت ابحث عن الجمال ... فالتقيت بالله

كنت في الخامسة والعشرين من
العمر، حزمت امتعتي وذهبت إلى
فالنسيا Valencia بحجة إعداد
الماجستير في الهندسة
المعماريّة. لقد قلت فعلاً "بحجة"
لأنني بالحقيقة كنت أريد أن اذهب
إلى أي مكان... لم أكن سعيدة،
كنت بحاجة ماسّة إلى التغيير...
ولكنّي لم أتخيّل أبداً أن يكون هذا
التغيير جذرياً إلى هذا الحدّ.

كنت في الخامسة والعشرين من العمر، حزمت امتعتي وذهبت إلى فالنسيا Valencia بحجة إعداد الماجستير في الهندسة المعماريّة. لقد قلت فعلاً "بحجة" لأنني بالحقيقة كنت أريد أن اذهب إلى أي مكان... لم أكن سعيدة، كنت بحاجة ماسّة إلى التغيير... ولكنّي لم أتخيّل أبداً أن يكون هذا التغيير جذرياً إلى هذا الحدّ.

طريق في الضباب

لقد نشأت في عائلة مسيحيّة، أذكر بأنّي كنت أصليّ المسبحة مع جدتي ونذهب لوضع الورود تحت أقدام تمثال سيدتنا "مريم العذراء" نهار السبت.

لقد وجدت مؤخراً آيات من الانجيل كنت قد دونتها من قبل، ولكنّي لم أعد أذكر

شيئاً منها. وقد وجدت في احد الأدراج كتاب "طريق " للقديس خوسيماريا اسكريفيا. كنت قد قرأت شيئاً منه وأنا صغيرة ولكني لم أفهم شيئاً انذاك.

خلال سنواتي الأخيرة في المدرسة، اجتاحتني رغبة كبيرة أن اخدم الله، وفي الوقت نفسه كنت بحاجة أن اغوص كلياً في العالم.

خلال دراساتي الجامعية، أخذت الأمور منحاً آخر... بدأت تسوء الأوضاع، كنت أعيش بمفردي وبكامل حرّيتي.

لم يكن لديّ أسباب، لم أكن أعرف ما يكفي عن العقيدة والإيمان ليقوّيني ويثبّتي.

لم أكن أنوي فعلاً أن ابتعد عن ممارسة إيماني... ولكن تدريجياً ومن دون تفكير، تركت كل شيء.

مضت سنوات عديدة من دون أن
أذهب إلى الإعتراف، وأشهر كثيرة من
دون أن اشارك في الذبيحة الإلهية...

كل العادات التي اكتسبتها في
طفولتي قد زالت... ووجدت نفسي في
أحد الأيام بعيدة كل البعد عن الله...

وأصبح طريقي في الضباب...

البحث عن المزيد

وجاء الله يبحث عني على طريقته
الخاصة... من خلال الأشياء التي تعني
لي الكثير في حياتي، والتي لم يبدو أن
لديها أي صلة به.

كنت دائماً أتذكر نصيحة جدي: "العمل،
العمل ثمّ العمل".

لقد اخترت دراسة الهندسة المعماريّة.
و فيما كنت اتقدّم في هذا المجال،
شعرت بحاجة إلى التّغيير، إلى أن انقل
شيئاً أكثر عمقاً... أن اكتشف الجمال...

أن ابحث عن الإنسجام... النظام
والتكوين... كل هذه الأشياء كانت تكبر
شيئاً فشيئاً في داخلي.

في أعماقي كنت أعرف أن هناك شيئاً
علي إكتشافه... شيئاً مخفياً عن النظر!
قررت أن ابحث، واستثمرت وقتي
وقلبي في دراساتي.

خلال تلك السّنوات قال صديق لي:
"انت تحلمين كثيراً ولكن لا تفعلي شيئاً
في النهاية"

وأضاف: "عندما تنظرين إلى السماء،
هل تشكرين الله؟"

أخذت هاتين الملاحظتين، وكلي إقتناع
بأن علي الرحيل لأتمكن من التّغير...
وذهبت إلى إسبانيا.

كان لدي فكرتين واضحتين أمامي:

- أن ادرس لاتمكن من مساعدات
الآخرين، لذا اخترت دراسة الماجستير

في السّكن الاجتماعي (Logement Social) والتنمية المستدامة.

- أن أتعلّم أن اشكر الله... ولكن لم يكن لديّ أدنى فكرة عن كيفيّة تحقيقها.

كان هدفي أن أجول العالم وأعيش بمطلق الحرّيّة. وقد كرّست كل أوقات فراغي في الجامعة للسّفر.

كنت أبحث عن الإنسجام بين الفنّ والهندسة المعماريّة، وفي نفس الوقت لم أوفّر فرصة للإستمتاع.

في جزيرة ميكونوس اليونانية، مع نهاية نهار جميل جداً، أي شخص كان إعتبره بمطلق الكمال، سألت نفسي:

"هل هذه هي الحرّيّة؟"

في تلك النقطة، كنت قد فعلت كل شيء أردته تقريباً، ولكن كنت ما زلت أشعر بالفراغ... فأكملت البحث.

ذهبت للبحث في المغرب، كنت مع
صديقتي البرازيلية ديب. طلبنا من
موطّف الإستقبال في الفندق إذا أمكننا
أن ندخل خفيةً إلى المسجد لنرى كيف
يصلّي المسلمون. فقال لنا أنه من غير
اللائق الدخول، ولكن يمكننا أن نستيقظ
عند الخامسة فجراً ونراقب عن بعد
كيف يصلّون.

ذهبت للبحث في البندقية، منبهرة
بهندستها التي تفوق الخيال، عمل مثير
جداً من صنع البشر!

ذهبت للبحث في لانزاروت، في ميلان،
بين جميع الناس التي التقيت بها وكل
المشاهد التي رأيتها في رحلاتي...

في خلال رحلتي، قالت لي صديقة
كولومبية كانت تسافر معي: "أنت فعلاً
تافهة..."

كان وقع هذه الكلمات قاسياً جداً...
كنت أعلم بأن ما أفعله لم يكن

الصواب، ولكن لم أظن يوماً أنني
تافهة...

كانت على حق... لقد كنت فعلاً تافهة!

كان الهدف من رحلاتي أن أتغيّر... أن
أعطي منحاً جديداً لمسيرتي و أن أبحث
عن معنى أعمق لما أفعله... لم أحقق
شيئاً!

اشكر الله أنه في هذه المرحلة من
حياتي، أرسل شخصاً يبحث عني...

مفترق طرق

كان لي عم في مدريد، إتصل بي
وعرض عليّ مقابلة عمل مع مهندسة
معمارية يعرفها جيّداً.

كان تبقى لي بضعة أشهر وأنهى
الماجستير، فلم أتردد وذهبت إلى
غرناطة.

المهندسة التي يعرفها عمّي كان اسمها
لوريّتو. بمجرد أن دخلت الإستديو ،
عرفت بأنني في المكان المناسب!
طريقة تزيين المكان، المشاريع التي
يعملون عليها، طريقة ونهج العمل...
وبالأخص ترحيب لوريّتو الدافئ
وطريققتها. شعرت بالإرتياح وأردت أن
أبدأ العمل على الفور.

قالت لي لوريّتو : "عليك الإنتظار قليلاً،
لأنني في 15 تموز أنا ذاهبة إلى طريق
مار يعقوب (Camino de Santiago).

Camino de Santiago!! كنت أنوي أن
أذهب إلى هناك فوراً إنتهائي من
الماجستير، كانت ضمن المشاريع التي
لم احققها لأنني لم أجد بعد شخصاً
يرافقني...

سألتها إذا يمكنني مرافقتها في رحلات
الحج هذه، وافقت على الفور من دون
أي شرط!

كل شيء كان يسير جيّداً والأمر كان
تتحسّن، في اليوم نفسه وجدت عملاً
جيداً، ومرافقاً إلى طريق القدّيس
يعقوب.

فقلت في نفسي "هذه هي اللّحظة
التي عليّ فعلاً أن اشكر الله فيها"

ولكن الله كان طموحاً أكثر ممّي بكثير...
في هذه المرحلة من مسيرتي،
اجتاحني!

أن أكره الخطيئة

ذهبت على متن حافلة مع مجموعة
تضم 40 فتاة. الأغلبية بينهنّ يشاركن
في النشاطات التي تنظم في
Alsajara، المركز الجامعي التي تديره
مجموعة من أعضاء "عمل الله" (أوبس
داي Opus Dei). وقد علمت أنّ لوريثو
كانت أيضاً ضمن الـ "عمل" (أي "عمل
الله"). لم يكن لدي فكرة معمّقة عن "
عمل الله" (أوبس داي Opus Dei)، ولم

يكن يهَمّني الموضوع، كل ما يهَمّني
هو أن احقّق هدفني بالسّير على طريق
مار يعقوب... هذا كل ما كنت انتظر.

توقفنا في مدرسة زراعية عائليّة على
الطّريق، كانت أيضاً في عهدة "عمل
الله" (أوبس داي Opus Dei).

في اليوم التّالي لوصولنا، أخبروني عن
وجود الكاهن في الكنيسة، للإعتراف...

رأيت باب غرفة الإعتراف مفتوحاً،
فدخلت على الفور.

الأمر الذي استطعت مقاومته
لسنوات... بت الآن بحاجة ماسة إليه...

في اليوم التّالي، أعطى الكاهن تأمّل
لمجموعتنا، وما قاله بقي محفوراً في
ذهني "يجب علينا أن نبغض الخطيئة".
لم استطع أن أتوقف عن التفكير بهذه
العبرة... أصبحت أرددها طول الوقت

في عقلي "يجب أن أبغض الخطيئة"...
وأنا أفكر في حياتي...

بدأت أصلي وأتوسل إلى الله أن يجعل
تلك الكلمات تتحقق في حياتي... أن
يساعدني لأتغير...

لهذا السبب تركت كل شيء وسافرت...
"لأبغض الخطيئة"

بالإضافة إلى التأمّلات اليومية مع
الكاهن، كان لدينا الفرصة للمشاركة
بالذبيحة الإلهية كل يوم.

القُدّاس الإلهي، بالنسبة لي، كان
يقتصر على نهار الأحد، لم أكن حتى
أعلم أنه يحتفل به خلال الأسبوع...

لم أكن أعلم شيئاً عن فعل الشكر، ذلك
الوقت الحميم مع الله من بعد استقباله
في سر الافخارستية!

تفاجأت بطريقة سجود الفتيات الآخرات
أمام بيت القربان...

تأثرت جداً بهذا المشهد، وأردت أن
أفعل مثلهم...

ولكن في نفس الوقت أحسست أن
الأمر يتخطاني، وشعرت بأنني عاجزة...

شعرت بأنني قد أقع مرة أخرى في
الروتين... ولن أستطيع تغيير حياتي
مطلقاً...

سمعت أجراس الكنيسة تدق، فعرفت
أنها الذبيحة الإلهية! لم استطع أن
أقاوم... فقممت على الفور ومن دون
تفكير أو تبرير وركضت نحو الكنيسة!

وصلنا في نهاية المطاف إلى سنتياغو
دي كومبوستيلا ودخلنا إلى كاتدرائية
مار يعقوب!

وبدأنا الواحدة تلو الأخرى بتقبيل تمثال
القديس يعقوب... هذا العناق التقليدي
عند إنتهاء المسيرة...

عندما أتى دوري، رميت نفسي بقوة نحو
التمثال... وطلبت منه بقوة أكبر: "أن
أبغض الخطيئة"

حيث السماء والأرض تلتقيان...

بدأت بالعمل وتقربت من لوريثو
وأصبحنا أصدقاء.

كان يجمعنا حبّ الجمال والبحث عنه
في العمار. لقد علّمتني أن أوحّد هذا
البحث مع القيام بعملٍ جيداً حتى
النهاية!

في الوقت نفسه، كنا نستمتع كثيراً!

كنا نتجول على متن درّاجة نارية لنقل
مواد البناء، ونزور المعارض، نتنزّه،
نراقب، نتأمّل ونفكر!

كنا منذهلين بما يفعله الله... ويساهم
به الانسان!

كانت لوريثو تقودني إلى الله من دون
أن أعلم...

كان الإنسجام بين الله وعملي يصبح
طبيعياً يوماً بعد يوم... وأدركت أن هذا
هو ما كنت ابحث عنه!

لطالما أردت أن أعيش بهذه الطريقة...
في حضور الله! امضيت معظم
طفولتي في الريف، مما أعدّني
وساعدني على التأمل! كما فهمت
كلمات القديس خوسيماريا وأنا أقرأها
للمرّة الأولى: "على خطّ الأفق، أولادي،
يبدو أن السّماء والأرض تجتمعان، ولكن
هذا ليس هو الحال، المكان الذي
تجتمعان به هو في قلبك! عندما تعيش
حياتك اليوميّة العادية بكلّ قداسة!"

لقد فقدت تدريجياً الخوف من عدم
التمكّن من المحافظة على هذا
التغيير... لأنّي اكتشفت أن هذه هي
الحياة بالأصيلة... وأنه عليّ أن أكون
محاطة جداً في هذه المرحلة الجديدة،

فبحثت عن المرافقة في التنشئة
المسيحية التي تقدمها جامعة
Alsajara.

من الإنجذاب إلى القرار

عندما أتيت إلى غرناطة لأعمل، كنت
أعيش مع قريبتى في Monachil، قرية
صغيرة في ضواحي المدينة.

لم تكن المواصلات سهلة بين البيت
والجامعة، للحصول على التنشئة. ولكن
كنت بحاجة إلى التأمل، إلى أوقات
الصلاة، العطش الدائم لمعرفة المزيد
عن إيماني وبخاصة القدّاس... لم أعد
أستطيع أن أعيش من دون الذّبيحة
الإلهية!

أتذكّر ليلةً، كنت مع قريبتى نشارك في
صف ال-Yoga مع ال-Hippies في
ساحة البلدة. فجأةً سمعت أجراس
الكنيسة تدق، فعرفت أنها الذّبيحة
الإلهية! لم أستطع أن أقاوم... فقامت

على الفور ومن دون تفكير أو تبرير
وركضت نحو الكنيسة!

كان هناك شيء ما يشدني، أو بالأحرى
شخص ما... لم أعد أستطيع تصور
حياتي من دون الله!

وقد أدركت هذا الأمر عندما كنت في
إسطنبول. كنت اتطلع شوقاً لرؤية
العمارة الإسلامية التي كانت تجذبني،
وما تبقى من القسطنطينية!

ولكنني أصبت بخيبة أمل كبيرة...
المساجد كانت أماكن عظيمة وكبيرة
للصلاة، غنيّة بزینتها... ولكن الله لم يكن
موجوداً!

كأدراية أيا صوفيا القديمة، كانت
كنيسة ثم مسجد والان متحف...
أصبحت خالية من المعنى!

لم يعد محور الإهتمام، بالنسبة لي،
المباني... ولكن من يسكن فيها!

مع كل هذه الخبرات الداخلية، كنت
أشعر بأن الله يطلب مني شيئاً... لم
أعرف ما هو!

كنت أشعر بأن الدعوة في "عمل
الله" (أوبس داي Opus Dei) شرفاً لا
استحقّه!

ولكن هذا هو الطريق الذي رسمه لي
الله شيئاً فشيئاً!

في 11 شباط 2011 كتبت رسالة إلى
الحبريّة طالبة قبولي في "عمل الله"!

" طريق موفق "

طوال الطريق المؤدية إلى سانتياغو
Santiago ، وتبعاً للتقليد، يقوم الحجاج
بختام جوازات سفرهم في نقاط ومراحل
مختلفة تباعاً! مما يشهد أنهم سافروا
مشياً طول الطريق نحو قبر الرسول.

والأشخاص الذين يختمون الجوازات
يقولون دائماً للمسافرين : "Buen
Camino، طريق موفّق"

كنت فعلاً على الطريق الصحيح
الموفّق... استرجعت في ذاكرتي
مسيرتي الشخصية خلال السنوات
الماضية...

البحث عن الجمال، رغبتني في خدمة
الآخرين، شغفي للهندسة المعماريّة،
الوحدة بين العمل والتأمّل، حاجتي إلى
إحالة كل شيء إلى الله... وفي النهاية،
الدعوة لإعطاء ذاتي وكلّي!

عندما التقيت بـ "عمل الله" (أوبس
داي Opus Dei) للمرة الأولى، وضع
الله ختمه! مؤكداً لي منذ البداية أنه
كان يقودني نحو الطريق الصحيح!

pdf | document generated automatically
-<https://opusdei.org/ar-lb/article/knt> from
(2026/02/05) [/bhth-n-ljml-fltqyt-bllh](#)